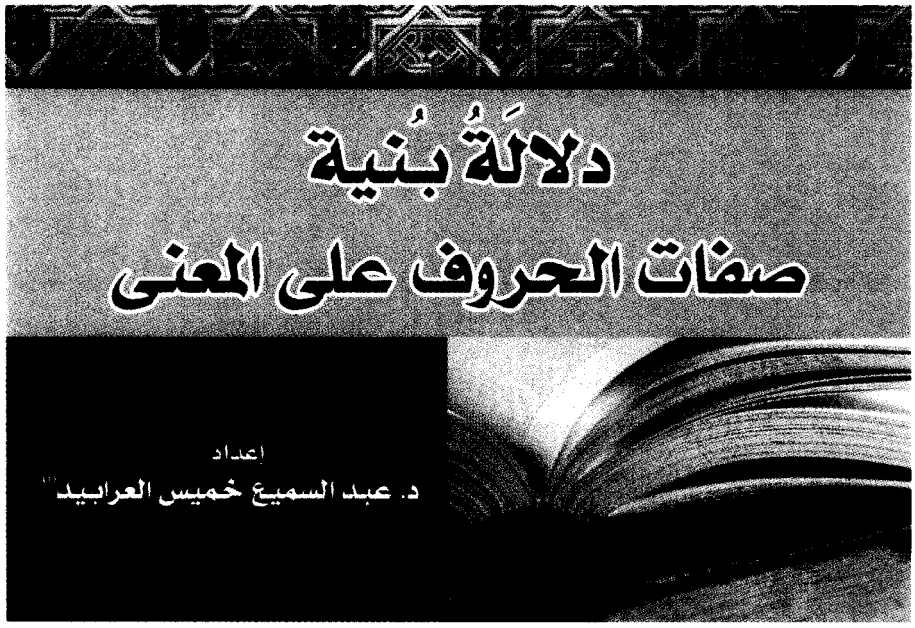

ملخص البحث

إحكام رصف حروف القرآن وتداخل صفاتها وانسجامها واطراد نسقها واتزان أجزائها آية إبداعية ربانية ومعجزة أبدية تتوالى مدلولاتها لتشكل جواً نفسياً دالاً ومعبراً على المعنى العام الذي يحيط بموضوع الآية والسورة، وهذا البحث يظهر علاقة صفات تلك الحروف بالمعنى العام للآية أو السورة وقد اشتمل البحث على:

١ ـ دلالَةُ بنية صفات الحروف على الحروف المقطعة.

٢ ـ دلالَةُ بنية صفات الحروف على مستوى الكلمة.

٣ ـ دلالَةُ بنية صفات الحروف على مستوى الآية.

٤ ـ دلالَةُ بنية صفات الحروف على السورة كاملة.

(١) أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك جامعة الأقصى ـ فلسطين ـ غزة.

Abstract

The Indicativity of the Structure of the Letters' Features on the Meaning.

The exactness of aligning the letters of the holy Quran and the overlapping of their features. their harmony, steadiness, the balance of their parts are a divine and eternal miracle, where its indications succeed to form an expressive atmosphere of the general meaning surrounding the main topic of the verse and the sura.

This research explore the relationship of those letters with the general meaning of the verse or the sura.

It contains:

1. The indicativity of the structure of the letters on the partitioned letters.

2. The indicativity of the letters' features at the level of the verse.

3. The indicativity of the letters' structures at the level of the whole Sura.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن تنسيق حروف القرآن وتداخل صفاتها آية إبداعية ربانية في النسق والترتيب والتنظيم والبهاء، مما جعلها تحدث عند نطقها جمالاً ساحراً وانفعالاً نفسياً نافذاً إلى نفس السامع والقارئ دفعت السامع في الاسترسال بالإصغاء إليه، والتمعن في معانيه، وجعلت القارئ يستمر في قراءته، يستهويه نطق الحروف، وانسجامها، واطراد نسقها، واتزان أجزائها، ولعل السبب تنوع نغمة الصوت الذي مصدره تلك النبرات المنظمة التي تشملها الكلمة، إذ الكلمة الواحدة تشتمل على أكثر من نغمة ونبرة، وذلك لتنوع حروفها، فالحرف الواحد فيها يحمل من خمس إلى ست إلى سبع صفات، فعجباً تنطق بحروف نسقت ونظمت ألحانها كأنها نظماً موسيقياً يخرق شغاف القلوب والأفئدة، ولا غروَ في ذلك فهي كلمات الله تعالى ولهذا قال المفسر ابن عطية (٥٤٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لا يوجد»[1]، فالكلمة مؤلفة من حروف تتوالى مدلولاتها لتشكل جواً نفسياً دالاً ومعبراً على المعنى العام الذي يحيط بموضوع السورة كلها، ولذلك قسم العلماء الحروف إلى مجموعات لكل مجموعة سمة، وميزة، وصفة خاصة بها، فمنها حروف الصفير التي تحدث نبرات خاصة وهي: (السين، والصاد، والزاي) وحروف الهمس وهي التي يجري النفس في مخرجها عند النطق بها وبالتالي تسهل

(١) نقلاً من كتاب إعجاز القرآن، الرافعي ص ١٨٠.

نطق الحروف التي تليها في انسياق بهيج، وهناك حروف القلقلة التي تجعل للحرف صدى جميلاً عند نطقه وهي: (القاف، والطاء، والباء، والجيم، والدال)، وهناك حروف الاستفال والاستعلاء وحروف الإطباق، والتفشي، والاستطالة و...إلخ، وهناك حروف اتصفت بالقوة وردت في مواطن القوة، وحروف متّصفة بعلامات الضعف وردت بمواقف الضعف، وحروف متصفة بالاستعلاء وردت بمواقف الاستعلاء، وحروف متصفة باللين وردت بمواقف اللين، وهكذا، فالأصوات في القرآن تولّد إيقاعاً ينسجم مع المعنى ويزيد دلالته وضوحاً.

إن التتالي والتتابع الصحيح لحروف الكلمة، والكلمات التي بعدها يخلق التوافق في الكلام كله فتنساب الكلمات في الآيات باتساق واتزان كافيين للتأثير على أسماع المستمعين وإبراز المعاني، ولذلك كان تأكيد علماء التجويد على اختيار وجه واحد للمدود ذات الأوجه المتعددة مثل: (المنفصل والعارض للسكون) وذلك حتى تكون الآيات وفواصلها ذات وزن ونسق وانسجام واحد.

وقد اشتمل البحث على المواضيع التالية:

- المقدمة.
- التمهيد.
- دلالَةُ بنية صفات الحروف على الحروف المقطعة.
- دلالَةُ بنية صفات الحروف على مستوى الكلمة.
- دلالَةُ بنية صفات الحروف على مستوى الآية.
- دلالَةُ بنية صفات الحروف على السورة كاملة.
- الخاتمة.

تمهيد
فكرة البحث والدراسات السابقة

لم تكن فكرة تطابق بنية الكلمة تتناسب وتتناسق مع الجو العام للسورة وليدة اللحظة وإنما سبق الحديث عنها قديماً وحديثاً بشكل أو بآخر، ففي كل سورة وحدة موضوعية مترابطة، وفي كل سورة بديع نظم وعجيب تأليف.

فقد ألف الجاحظ في القرن الثالث الهجري كتاباً أسماه (نظم القرآن)، ولا يستبعد أن يكون قد ضمنه كثيراً من لمحات القرآن المعجز عن طريق النظم، وبسبب ضياعه لم يبق لنا من ذلك الكتاب إلا الإشارات المبثوثة بين كتبه المتبقية، والجاحظ يرى أن إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه، وفي ذلك يقول: «وفي كتابنا المنزل الذي يدلنا على أنه صدق، نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء به»[(١)]، ويقول في موضع آخر: «ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب، وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن بعد أن تحداهم الرسول بنظمه»[(٢)].

وكذلك الشأن مع الخطابي حين عرَّف الإعجاز بقوله: «واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني»[(٣)]، فاعتبر النظم أحد الأركان الثلاثة التي يقوم بها

(١) الجاحظ الحيوان (٨٩/٤)، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار إحياء التراث.

(٢) المصدر نفسه (٣٠/٢).

(٣) الخطابي، بيان إعجاز القرآن ص ٢٧، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف مصر، الطبعة الرابعة.

الإعجاز إلى جانب الألفاظ والمعاني، ولم يجعله الركن الوحيد للإعجاز، وذلك لأن الكلام بوجه عام يقوم على أشياء ثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم، وإذا تأملنا القرآن الكريم وجدنا هذه الأمور منه «في غاية الشرف والفضيلة، حيث لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعومتها وصفاتها»(١).

وأما الباقلاني؛ فكان مقتنعاً بأن إعجاز القرآن في نظمه الخارج عن المعهود من كلام العرب. فقد قال: «والوجه الثالث أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه»(٢).

وقال: «فليس الإعجاز في نفس الحروف، وإنما هو في نظمها وإحكام رصفها، وكونها على وزن ما أتى به النبيّ ﷺ، وليس نظمها أكثر من وجودها متقدمة ومتأخرة ومترتبة في الوجود، وليس لها نظم سواها، وهو كتتابع الحركات إلى السماء، ووجود بعضها قبل بعض، ووجود بعضها بعد بعض»(٣)، من هنا نقول: إن الباقلاني كان يفهم النظم على أنه تأليف العبارة وبناء النص بناءً تراعى فيه العلاقات، وملاءمتها لمواضعها التي وضعت فيه، فتحدث عن التقديم والتأخير وتتابع الحركات، وربط ذلك بالأسلوب الذي صار به القرآن معجزاً فقال: «ونظم القرآن جنس متميز، وأسلوب متخصص، وقبيل عند النظير متخلص»(٤)، ويقول أيضاً: «وذلك

(١) المصدر نفسه ص ٢٧.

(٢) إعجاز القرآن ص ٣٥.

(٣) الباقلاني، التهميد ص ١٧٧ ـ ١٧٨. تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٤) إعجاز القرآن ص ١٥٩.

أن نظم القرآن على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم وله أسلوب يختص به، وتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد»[١].

وأما ابن جني رَحِمَهُ اللَّهُ فقد أبدع وأجاد الحديث فقال: (فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون من أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر بها عنها، فيعدلونها بها، ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره وأضعاف ما نستشعر)[٢].

وقد تحدث كثيراً عن مضاهاة أجراس الحروف معنى الأفعال التي يعبّر عنها، وذلك في أكثر من موضع في كتابه (الخصائص)[٣].

ونجد من المحدّثين من تحدث عن ائتلاف اللفظ مع المعنى، مثل: لبيب السعيد حيث يقول: (يجب أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد، فإن كان فخماً كانت ألفاظه مفخمة، أو جزلاً فجزلة، أو غريباً فغريبة)[٤].

ويقول الدكتور نجيب علي عبدالله السودي: «وأنا أحاول قراءة النص القرآني، وذلك من خلال محاولة الكشف عما إذا كان هناك علاقة بين هذه الأحكام التجويدية والمعنى العام في النص.

والأمر هنا من الوعورة والمشقّة بمكان، غير أننا إن أطلنا النظر ولاطفناه، وتركنا الضجر وتحاميناه، لم نكد نعدم قرب بعض من بعض[٥].

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٥.
(٢) الخصائص (١٥٩/٢).
(٣) انظر: الخصائص: (٦٦/١) و(١٤٨/٢، ١٦٢، ١٦٨).
(٤) السعيد لبيب، المصحف المرتّل بواعثه ومخططاته ـ دار الكاتب العربي ـ القاهرة ـ د.ت.ط ـ ص ٤٢.
(٥) السودي: الإعجاز البياني في الصوت القرآني (بحث موجود عبر الشبكة العنكبوتية).

بيد أن ما ذكر كان التركيز على الكلمة المفردة وأما ما نحن بصدده فالحديث سيركز على الحرف والكلمة والآيات والسور إن شاء الله تعالى.

وقبل أن نشرع في البيان، وندخل إلى عميق بحثنا، يجدر بنا أن نذكر صفات الحروف باختصار، ونجملها هنا بالتالي:

للحروف صفات كثيرة حددها بعض القراء بأربع وأربعين صفة، وحددها آخرون بأربع وثلاثين صفة، منهم ابن الجزري رحمه الله، ولكنه ذكر أشهرها وأهمها فحددها بسبع عشرة صفة[1]، وقد قسم علماء التجويد الصفات إلى قسمين:

صفات قوية وهي: الجهر، الشدة، الاستعلاء، الإطباق، الصفير، القلقلة، التكرير، الانحراف، التفشي، الاستطالة، الغنة.

صفات ضعيفة هي: الهمس، الرخاوة، الاستفال، الانفتاح، اللين.

أما الصفات المتبقية وهي: الإذلاق والإصمات والتوسط فلا توصف بقوة ولا ضعف.

ولكل حرف أن يتصف بخمس صفات على الأقل ولا تجتمع في الحرف صفتان متضادتان، ويحكم للحرف بأنه قوي أو ضعيف طبقاً لأغلبية صفاته، فإن كان جميع صفات الحرف قوية أو أكثر الصفات قوية كان الحرف قوياً، وإن تساوت الصفات كان حرفاً متوسطاً بين القوة والضعف، وإن كان جميع الصفات ضعيفة أو تكون الغالبية ضعيفة كان الحرف ضعيفاً، يقول مكّي بن أبي طالب: (والشدة من علامات قوة الحرف، فإن كان مع الشدة جهر وإطباق واستعلاء فذلك غاية القوّة في الحرف، لأن كل واحدة من هذه الصفات تدلّ على القوّة في الحرف، فإذا اجتمعت اثنتان من هذه الصفات في الحرف أو أكثر فهي في غاية القوة)[2]، وعلى

(١) انظر: النشر (٢٠٢/١).

(٢) الرعاية ص ١١٧.

هذا فإن الحروف بحسب قوتها أو ضعفها تنقسم إلى خمسة أقسام:

أقوى: الطاء، الضاد، القاف، الظاء.

قوي: الجيم، الدال، الصاد، الراء، الباء.

متوسط: اللام، الميم، النون، الغين، الهمزة.

ضعيف: الألف اللينة، التاء، الخاء، الذال، الراء، السين، الشين، العين، الكاف، الزاي، (الواو، الياء) المتحركتان أو الليّنتان.

أضعف: الحاء، الهاء، الفاء، الثاء.

مختصر الصفات القوية للحروف:

١ ـ الشدة:

لغة: «الشدة: الصلابة، وهي نقيض اللين تكون في الجواهر والأعراض والجمع شدد... شيء شديد: بين الشدة»[١].

اصطلاحاً: عرفه سيبويه قائلاً: «وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه»[٢]، وتبعه ابن جني[٣] وغيره، بينما عرفه مكي قائلاً: «ومعنى الحرف الشديد: أنه اشتد لزومه لموضعه، وقوى فيه حتى منع الصوت أن يجري معه عند اللفظ به»[٤]، وتبعه القرطبي[٥]، أما الزمخشري فيعرف الشديد بقوله: «والشدة أن يحصر صوت الحرف في مخرجه»[٦].

---

(١) اللسان (٣/٢٣٢، ٢٣٤).
(٢) الكتاب (٤/٤٣٤).
(٣) سر الصناعة (١/٦١).
(٤) الرعاية ص ١١٧.
(٥) الموضح ص ٨٩.
(٦) المفصل ص ٣٩٥.

حروف الشدة: وحروفها ثمانية يجمعها قولنا: (أجد قط بكت) (أ ج د ك ت ط ب ق).

٢ ـ الجهر:

لغة: «يقال: جهر بالقول إذا رفع به صوته فهو جهير، وأجهر، فهو مجهر إذا عرف بحدة الصوت، وجهر الشيء: علن وبدا، وجهر بكلامه، ودعائه، وصوته وقراءته»[(١)]، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

اصطلاحاً: يقول سيبويه في تعريف المجهور: «حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه، حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت[(٢)]، وقد تبعه الكثير من علماء اللغة في هذا التعريف[(٣)].

وحروفه ثمانية عشر حرفاً هي: (الهمزة، والباء، والجيم، والدال، والذال، والراء، والزاي، والضاد، والظاء، والطاء، والغين، والعين، واللام، والميم، والنون، والواو، والياء).

٣ ـ الإطباق:

يقول سيبويه: «وهذه الحروف إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك الأعلى، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان

---

(١) اللسان (٤/١٥٠).

(٢) الكتاب: تحقيق عبدالسلام هارون (٤/٤٣٤).

(٣) انظر مثلاً: سر صناعة الإعراب، (١/٦٠)، وشرح المفصل، ابن يعيش (١٠/١٢٩)، جمهرة اللغة، ابن دريد (١/٨)، مفتاح العلوم، السكاكي ص ٤، النشر (١/٢٠٢)، الجمل، الزجاجي ص ٤٤٨، سر الفصاحة، الخفاجي ص ٣٠، المفصل، الزمخشري ص ٢٩٥، أسرار العربية، ابن الأنباري ص ٤٢٣.

والحنك إلى موضع الحروف»[1] وتبعه الكثير من العلماء[2]، ويقول ابن جني: «والإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له»[3].

وحروفه أربعة هي: (الصاد والضاد والطاء والظاء).

٤ ـ الاستعلاء:

لغة: الارتفاع والعلو قال صاحب اللسان: «علو كل شيء: أرفعه»[4] قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٤].

اصطلاحاً: يقول ابن جني: «... ومعنى الاستعلاء تتصعد في الحنك الأعلى، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، وأما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها»[5]، وقد تبعه الخفاجي[6]، والسكاكي[7]، وابن يعيش[8].

ومفهوم الاستعلاء عند سيبويه أنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى[9]، وهو ما ذكره المبرد[10]، وقد ذكر مكي موضحاً معنى الاستعلاء قائلاً: «لأن الصوت يعلو عند النطق بها إلى الحنك فينطبق الصوت مستعلياً بالريح مع طائفة من اللسان مع الحنك مع حروف الإطباق... ولا ينطبق

---

(١) الكتاب (٤/٤٣٦).

(٢) انظر: سر الفصاحة ص ٢١، والمفصل ص ٢٩٥، وأسرار العربية ص ٤٢٤، ومفتاح العلوم ص ١١٠، وشرح الشافية (٣/٢٦٢)، وهمع الهوامع (٢/٢٣٠).

(٣) سر الصناعة (١/٦١).

(٤) اللسان (١٥/٨٣).

(٥) سر الصناعة (١/٦٢).

(٦) سر الفصاحة ص ٢١.

(٧) مفتاح العلوم ص ١١٠.

(٨) شرح المفصل (١٠/١٢٩).

(٩) الكتاب (٤/١٢٩).

(١٠) المقتضب (١/٢٢٥).

مع الخاء والغين والقاف، وإنما يستعلى غير منطبق بالحنك»[١] وقد أعاد ابن الجزري عبارة مكي في التمهيد[٢]، أما في النشر فقد وصف أصوات الاستعلاء قائلاً: «وهي حروف التفخيم على الصواب... وقيل: حروف التفخيم هي حروف الإطباق، ولا شك أنها أقواها تفخيماً»[٣]، وحروفه كلها مفخّمة وهي مجموعة في قولك: (خصّ ضغط قظ).

٥ ـ الصفير:

لغة: من الصوت بالدواب إذا سقيت، والصافر: كل ما لا يصيد من الطير»[٤].

اصطلاحاً: يرى سيبويه أنها إنما سميت كذلك لأنها «أندى في السمع»[٥]، ويقول ابن الجزري: «سميت كذلك لأن الصوت يخرج معها عند النطق بها يشبه الصفير»[٦]، وقد أطلق عليها الخليل تسمية أسلية وجعلها في حيز واحد[٧]، وقد علل ابن يعيش حدوث الصفير بقوله: لأن صوتها كالصفير، لأنها تخرج من بين الثنايا وطرف اللسان فينحصر الصوت هناك فيصفر به[٨]، وحروفه ثلاثة: (الزاي، الصاد، السين).

٦ ـ القلقلة:

لغة: «الحركة والاضطراب، وقلقلة الثبوت في المكان»[٩].

---

(١) الرعاية ص ١٢٣.
(٢) التمهيد ١٠٠.
(٣) النشر (٢٠٣/١، ٢٠٢).
(٤) اللسان (٤٦٤/٤).
(٥) الكتاب (٤٦٤/٤).
(٦) التمهيد في علم التجويد ص٢٥.
(٧) العين ٦٥.
(٨) شرح المفصل (١٣٠/١٠).
(٩) اللسان (٥٦٦/١١، ٥٦٧).

اصطلاحاً: يقول مكي: «القلقلة صوت يشبه النبرة عند الوقف على عدد من الأصوات وإرادة إتمام النطق بهن»[١]، والقلقلة من مصطلحات سيبويه حيث قال: «إن من الحروف حروفاً مشرفة ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقلة»[٢]، وتبعه المبرد[٣] إلا أنه استبدل بالصويت النبرة، أما تعريف ابن جني فقد كان تعريفه أكثر إيضاحاً حين قال: حفز الحرف في الوقف وضغطه عن موقعه»[٤].

٧ ـ الاستطالة:

اصطلاحاً: يقول ابن الجزري: «الحرف المستطيل وهو الضاد المعجمة، سمّيت بذلك لأنها استطالت عن الفم عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج اللام»[٥]، وأما سيبويه فيقول في صوت الضاد: «إنها اتصلت بمخرج اللام وتطأطأت عن اللام حتى خالطت أصول ما اللام فوقه من الأسنان ولم تقع من الثنية موضع الطاء لانحرافها»[٦].

٨ ـ التفشي:

لغة: «فشا خبره يفشو، انتشر وذاع ومنه إفشاء السر»[٧].

يقول ابن الجزري: «حرف التفشي هو الشين اتفاقاً»[٨]، وقد أجمع السلف على صوت الشين ويحدث التفشي بارتفاع مقدمة اللسان في اتجاه

---

(١) الرعاية ص ١٢٤.
(٢) الكتاب (١٧٤/٤).
(٣) المقتضب (١٩٦/١).
(٤) سر الصناعة (٦١/١).
(٥) التمهيد ص ٢٩.
(٦) الكتاب (٤٦٥/٤).
(٧) اللسان (١٥٥/١٥).
(٨) النشر (٢٠٥/١).

الحنك الصلب (الغار) فيحدث بذلك عقبة في طريق الهواء المندفع بشدة «فيصطدم باللثة ويرتد إلى الخلف منتشراً داخل الفم محدثاً الأثر السمعي الذي يميز الشين والذي يسميه اللغويون العرب بالتفشي»[١].

٩ ـ التكرير:

لغة: «الكر: الرجوع، وكرر الشيء وكركره: أعاده مرة بعد أخرى»[٢].

اصطلاحاً: يقول سيبويه: «المكرر: وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه[٣].

ويقول عنه ابن جني «المكرر: وهو الراء وذلك أنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير»[٤].

١٠ ـ الانحراف:

لغة: «حرف عن الشيء: عدل، وإذا مال الإنسان عن شيء يقال: تحرف وانحرف»[٥].

اصطلاحاً: قال سيبويه: «المنحرف وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت»[٦]، وقد عده من أصوات التوسط بين الشدة والرخاوة، وكذلك فعل المبرد[٧]، وقد فصل ابن جني معنى الانحراف بقوله: «ومن الحروف حرف منحرف لأن اللسان ينحرف فيه مع

(١) الكلام إنتاجه وتحليله ص ٤٣.
(٢) اللسان (١٣٥/٥).
(٣) الكتاب (٤٣٥/٤).
(٤) سر الصناعة (٦٣/١).
(٥) اللسان (٤٣/٩).
(٦) الكتاب (٤٣٥/٤).
(٧) المقتضب (١٩٦/١).

الصوت، وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت، فيخرج الصوت من تينك الناحيتين ومما فويقهما، وهو اللام»[١]، ويتسع معنى الانحراف عند مكي ليشمل صوتاً آخر هو صوت الراء، ويكون الانحراف هو الانحراف عن مخرج الصوت إلى مخرج صوت آخر، وعن الصفة إلى صفة أخرى[٢]، وقد تبع مكياً في فهمه لمعنى الانحراف كل من ابن الطحان[٣]، وابن الجزري[٤]، ولكن أكثر العلماء على رأي سيبويه[٥].

مختصر صفات الحروف الضعيفة:

ونقصد به الصفات التي إن توافرت في الحرف جعلته ضعيفاً، يقول مكّي بن أبي طالب: (والهمس والرخاوة والخفاء من علامات الضعف)[٦].

ويقول ابن الجزري بعد ذكره لمقولة مكّي: (فإذا كان أحد هذه الصفات الضعيفة في حرف كان فيه ضعف، وإذا اجتمعت فيه كان ذلك أضعف له)[٧].

١ ـ الرخاوة:

لغة: «قال ابن سيدة: الرخو: الهش من كل شيء، وهو الشيء الذي فيه رخاوة»[٨].

---

(١) سر الصناعة (٦٣/١).
(٢) الرعاية ص ١٣٢، ١٣١.
(٣) مخارج الحروف ص ٩٥.
(٤) النشر (٢٠٤/١).
(٥) المفصل ص ٣٩٥، ٣٩٦، شرح المفصل (١٣٠/١٠)، شرح الشافية (٢٥٨/٣)، المساعد (٢٤٧/٤).
(٦) الرعاية ص ٩٠.
(٧) التمهيد في علم التجويد ص ٨٨.
(٨) اللسان (٣١٤/٤).

اصطلاحاً: «هو الذي يجري فيه الصوت»(١)، وقال مكي: «حرف ضعف الاعتماد عليه في موضعه عند النطق به فجرى معه الصوت»(٢)، وحروفها خمسة عشر هي: (ت، ح، خ، ذ، ز، ن، س، ش، ص، ض، غ، ف، هـ، و، ي)

٢ ـ الهمس:

لغة: «هو الكلام الخفي الذي لا يكاد يسمع، قال صاحب اللسان: هو الخفي من الصوت»(٣)، قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

اصطلاحاً: جريان النفس عند النطق بالحرف لضعفه وضعف الاعتماد عليه في المخرج(٤)، ويقول سيبويه في تعريف المهموس: «حرف أضعف الاعتماد في موضعه، حتى جرى النفس معه»(٥)، وحروفه عشرة مجموعة في عبارة: (سكت فحثه شخص).

٣ ـ الانفتاح:

لغة: «الفتح نقيض الإغلاق، وباب فتح، أي: واسع مفتح»(٦).

اصطلاحاً: يقول سيبويه: «فأمّا المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء، والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى»(٧)، وحروفه أربعة وعشرون وهي: (أ،

---

(١) الكتاب (٤/٤٣٤، ٤٣٥)، سر الصناعة (١/٦١)، المفصل ٣٩٥.
(٢) الرعاية ص ١١٩.
(٣) اللسان (٦/٢٥٠).
(٤) سراج القارئ المبتدئ ص ١٢٧، جهد المقل ص ١٩٦.
(٥) الكتاب: تحقيق عبدالسلام هارون (٤/٤٣٤).
(٦) لسان العرب (٢/٥٣٦، ٥٣٧).
(٧) الكتاب (٤/٤٣٦).

ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي).

٤ ـ الاستفال:

لغة: «نقيض العلو وهو التسفل»[١] والانخفاض.

اصطلاحاً: انخفاض اللسان عن خروج اللسان من الحنك إلى قاع الفم[٢]، وحروفه عشرون وهي: (ب، ت، ث، ج، ح، د، ذ، ر، ز، س، ش، ع، ف، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي).

٥ ـ الإذلاق:

لغة: الإسراع.

اصطلاحاً: سرعة النطق بالحرف بالاعتماد على ذلق اللسان[٣]، وحروفه مجموعة في قولك: (فرّ من لب).

٦ ـ اللين:

لغة: «ضد الخشونة، يقال في فعل الشيء اللين لأن الشيء يلين ليناً ولياناً وتلين»[٤].

اصطلاحاً: يقول سيبويه: «ومنها اللينة وهي الواو والياء»[٥]، وقد علل سيبويه وصف الصوتين باللين: «لأن مخرجها يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما»[٦]، وحروفه: الواو والياء إذا سكنتا وانفتح ما قبلهما.

---

(١) نفس المرجع (٣٣٧/١١).
(٢) الكتاب (٤٣٥/٤)، العميد في علم التجويد ص ١٧.
(٣) الوافي ص ١٢، العقد الفريد ص ٢٦.
(٤) اللسان (٣٩٤/١٣).
(٥) الكتاب (٤٣٥/٤).
(٦) نفس المرجع والصفحة.

وعليه: يحكم للحرف بالضعف أو القوّة حسب أغلبية الصفات المتوفّرة فيه فإذا كانت الصفات القويّة فيه أكثر كان حرفاً قويًا، وإذا كانت الصفات الضعيفة أكثر كان الحرف ضعيفاً.

أولاً: دلالَةُ بنية صفات الحروف على الحروف المقطعة

افتتح الله جل جلاله تسعاً وعشرين سورة من كتابه بحروف هجائية مقطعة يمكن حصرها على النحو الآتي:

أ ـ ثلاثة حروف موحدة هي: ﴿صٓ﴾، ﴿قٓ﴾، ﴿نٓ﴾.

ب ـ عشرة حروف مثناة هي: ﴿طه﴾ ﴿طسٓ﴾، ﴿يسٓ﴾، و﴿حمٓ﴾ استعملت في افتتاح سبع سور.

ج ـ اثنا عشر مثلثة الحروف هي: ﴿الٓمٓ﴾، ﴿الٓرٰ﴾، ﴿طسٓمٓ﴾، وقد تكرر الأولان عدة مرات في المصحف دون ﴿طسٓمٓ﴾.

د ـ اثنان حروفهما أربعة: ﴿الٓمٓرٰ﴾ .﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾.

هـ ـ اثنان حروفها خمسة: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾.

وقد اهتم علماء الإعجاز القرآني بالتصنيف الصوتي لهذه الحروف في فواتح هذه السور، وبيان أسرارها التركيبية، ودلائلها الصوتية، وكان أبو بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ) في طليعة هؤلاء الأعلام، فقال: «إن الحروف التي بني عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفاً، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة، وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة، وهو أربعة عشر حرفاً ليدل بالمذكور على غيره، والذي تنقسم إليه هذه الحروف أقساماً: فمن ذلك قسموها إلى حروف مهموسة وأخرى مجهورة، فالمهموسة منها عشرة وهي: الحاء والهاء والخاء والكاف والشين والثاء والفاء والتاء والصاد والسين.

وما سوى ذلك من الحروف فهي مجهورة، وقد عرفنا أن نصف

الحروف المهموسة مذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السور، وكذلك نصف الحروف المجهورة على السواء لا زيادة ولا نقصان»[1]، ويعلل الباقلاني ظاهرة استعمال بعض الحروف دون سواها للتأكيد على المناخ الصوتي المتميز في وضع الحروف بموقعها المناسب بحسب تسلسلها في النطق مترددة بجهاز النطق من مبتداه إلى منتهاه، وذلك حينما يبدأ القرآن الكريم بـ ﴿الٓمٓ﴾ في أول سورة قرآنية وهي سورة البقرة التي استعملت هذه الأصوات متقاطرة، فيعطي التعليل الصوتي الآتي: «لأن الألف المبدوءة بها هي أقصاها مطلقاً، واللام متوسطة، والميم متطرفة، لأنها تأخذ في الشفة، فنبه بذكرها على غيرها من الحروف، وبيّن أنه إنما أتاهم بكلام منظوم مما يتعارفون من الحروف التي تردد بين هذين الطرفين»[2].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في سياق الحديث عن الحروف المقطعة في بداية السور: «تأمل اقتران الطاء بالسين والهاء في القرآن، فإن الطاء جمعت من صفات الحروف خمس صفات لم يجمعها غيرها، وهي الجهر والشدة والاستعلاء والإطباق والسين مهموس رخو مستفل صفيري منفتح فلا يمكن أن يجمع إلى الطاء حرف يقابلها كالسين والهاء فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف، وتأمل السور التي اشتملت على الحروف المفردة كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف فمن ذلك سورة ق، والسورة مبنية على الكلمات القافية من ذكر القرآن وذكر الخلق وتكرير القول ومراجعته مراراً والقرب من ابن آدم وتلقي الملكين قول العبد وذكر الرقيب وذكر السائق والقرين والإلقاء في جهنم والتقدم بالوعيد وذكر المتقين وذكر القلب والقرون والتنقيب في البلاد وذكر القيل مرتين وتشقق الأرض وإلقاء الرواسي فيها وبسوق النخل والرزق وذكر القوم وحقوق الوعيد ولو لم يكن إلا تكرار القول والمحاورة وسر آخر وهو أن كل معاني هذه السورة مناسبة

(١) الباقلاني، إعجاز القرآن ص ٦٦.

(٢) الباقلاني، إعجاز القرآن ص ٦٨ ـ ٦٩.

لما في حرف القاف من الشدة والجهر والعلو والانفتاح»[1] وقد ورد حرف القاف خمسة وخمسون مرة في سورة ق.

قال صاحب الكشاف: «واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء؛ وجدتها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء، وهي: الألف، واللام، والميم، والصاد، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والطاء، والسين، والحاء، والقاف، والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم. ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، بيان ذلك أن فيها من المهموسة نصفها: الصاد، والكاف، والهاء، والسين، والحاء. ومن المجهورة نصفها: الألف، واللام، والميم، والراء، والعين، والطاء، والقاف، والياء، والنون. ومن الشديدة نصفها: الألف، والكاف، والطاء، والقاف. ومن الرخوة نصفها: اللام، والميم، والراء، والصاد، والهاء، والعين، والسين، والحاء، والياء، والنون. ومن المطبقة نصفها: الصاد، والطاء. ومن المنفتحة نصفها: الألف، واللام، والميم، والراء، والكاف، والهاء، والعين، والسين، والحاء، والقاف، والياء، والنون. ومن المستعلية نصفها: القاف، والصاد، والطاء. ومن المنخفضة نصفها: الألف، واللام، والميم، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والسين، والحاء، والنون. ومن حروف القلقلة نصفها: القاف، والطاء.

ثم إذا استقريت الكلم وتراكيبها، رأيت الحروف التي ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها، فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله[2].

وقد عرض الزركشي لأعداد هذه الأصوات في فواتح السور، ووقف عند ما ابتدئ به بثلاثة حروف، واعتبر لذلك سراً صوتياً بارزاً علّله بقوله

(١) بدائع الفوائد (٦٦٩/٣).

(٢) الكشاف (١٥/١).

عن ﴿الٓمٓ ۝١﴾ في تركيبها: «وذلك أن الألف إذا بدئ بها أولاً كانت همزة، وهي أول المخارج من أقصى الصدر، واللام من وسط مخارج الحروف، وهي أشد الحروف اعتماداً على اللسان، والميم آخر الحروف، ومخرجها من الفم. وهذه الثلاثة هي أصل مخارج الحروف أعني الحلق واللسان والشفتين، وترتبت في التنزيل من البداية إلى الوسط، إلى النهاية. فهذه الحروف تعتمد المخارج الثلاثة، التي يتفرع منها ستة عشر مخرجاً، ليصير منها تسعة وعشرون حرفاً، عليها مدار الحلق أجمعين، مع تضمنها سراً عجيباً، وهو أن الألف للبداية، واللام للتوسط، والميم للنهاية، فاشتملت هذه الأحرف الثلاثة على البداية والنهاية والواسطة بينهما»[1].

كما تعقب الزركشي ملائمة صوت الطاء للسين في ﴿طسٓ﴾ ومجانسته للهاء في ﴿طه ۝١﴾، وهو يعمم هذه الملائمة وتلك المجانسة صوتياً على القرآن فيقول:

«وتأمل اقتران الطاء بالسين والهاء في القرآن، فإن الطاء جمعت من صفات الحروف خمس صفات لم يجمعها غيرها وهي: الجهر، والشدة، والاستعلاء، والإطباق، والإصمات، والسين: مهموس، رخو، مستفل، صفير، منفتح، فلا يمكن أن يجمع إلى الطاء حرف يقابلها، كالسين والهاء، فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف»[2].

والذي يخلص لنا من هذا الاهتمام المتكامل اشتمال فواتح السور القرآنية المبدوءة بالحروف الهجائية على نصف تقسيمات أصناف الحروف، بل على أنصاف كل الأصناف على هذا النحو:

١ ـ نصف الحروف المجهورة.

٢ ـ نصف الحروف المهموسة.

---

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: (١٦٨/١).

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: (١٦٩/١).

٣ ـ نصف حروف الحلق.

٤ ـ نصف حروف غير الحلق.

٥ ـ نصف الحروف الشديدة.

٦ ـ نصف الحروف المطبقة.

وقد قمت بإحصاء شامل ومسح دقيق لجميع الحروف التي ابتدأت بها آيات القرآن الكريم، وقد قيدت فقط أول حرفين من بداية كل آية ونذكر هنا فقط أكثرها شيوعاً وترداداً وهى كالتالي:

الثاء مع الميم	فقد وردت	١١٠	موضعاً
الهمزة مع اللام	فقد وردت	٤٠٦	موضعاً
الهمزة مع النون	فقد وردت	٤٦٤	موضعاً
القاف مع الألف	فقد وردت	٣٤٠	موضعاً
القاف مع اللام	فقد وردت	١٨٧	موضعاً
اللام مع الألف	فقد وردت	٧٨	موضعاً
الفاء مع الألف	فقد وردت	٢٨٣	موضعاً
الفاء مع اللام	فقد وردت	١١٤	موضعاً
الواو مع الهمز والألف	فقد وردت	٨٢٥	موضعاً
الواو مع الميم	فقد وردت	٣٢٠	موضعاً
الواو مع الياء	فقد وردت	١١٢	موضعاً
الياء مع الألف	فقد وردت	١٦٨	موضعاً
الواو مع القاف	فقد وردت	١٥٨	موضعاً
الواو مع اللام	فقد وردت	٤٤٤	موضعاً

وقد بلغ عدد حروف الشدة في القرآن الكريم كاملاً (أجدك تطبق) كالتالي:

أ: (٤١٦٧)، ج: (٢٢٨٦)، د: (٣٣٢٣)، ك: (٤٣٩٧)، ت: (٤٢٢٨)، ط: (١٠٦٣)، ب: (٤٦٠٧)، ق: (٣٧٥١).

حروف الاستعلاء (خص ضغط قظ) كالتالي:

خ: (١٨٥١)، ص: (١٦٠٥)، ض: (١٢٩٦)، غ: (١٠٢٣)، ط: (١٠٦٣)، ق: (٣٧٥١)، ظ: (٧٤٥).

حروف الإطباق (ص ض ط ظ) كالتالي:

ص: (١٦٠٥)، ض: (١٢٩٦)، ط: (١٠٦٣)، ظ: (٧٤٥)

حروف الصفير (ص س ز) كالتالي:

ص: (١٦٠٥)، س: (٣٤٢٣)، ز :(١٢١٧).

حروف الهمس (حثه شخص فسكت) كالتالي:

ح: (٢٧١٣)، ث: (١٠٩٥)، هـ: (٤٩٠٦)، ش: (١٦٠٥)، خ: (١٨٥١)، ص: (١٦٠٥)، ف: (٤١٦٤)، س: (٣٤٢٣)، ك: (٤٣٩٧)، ت: (٤٢٢٨).

حروف الإذلاق (فر من لب) كالتالي:

ف: (٤١٦٤)، ر: (٤٩٦٨)، م: (٥٧٣١)، ن: (٥٧٥٠)، ل: (٥٩٥٠)، ب: (٤٦٠٧)[1].

(١) البحث كان عبر المصحف الرقمي.

وبعد النظر والتأمل وجدت ما يلي:

● بداية الآيات كانت لحروف الترقيق إلا ما نذر جدًّا من حرف الاستعلاء باستثناء حرف القاف والذي جاء بعده حرف الألف ليتوصل به إلى نطق باقي الحروف بسهولة ويسر، وبالتالي يبدأ الصوت برقة ولطف وهو الصوت الذي يخاطب العقل والقلب معاً، كما أن فيها يسراً وسهولة لقارئ القرآن فقد تكفل الله بذلك بقوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧].

● أكثر الحروف كانت الواو ثم الفاء ثم الهمزة، فالواو والفاء كما هو معلوم تفيد العطف والترتيب والتعقيب والموالاة، وهو ما يدل على الارتباط واللحمة بين المعاني وتوحيد الوزن والنبرة بين حروف السورة الواحدة وكلماتها وآياتها كما تفيد (التأكيد لما تقدمه والإشعار بتعظيم ما سبق حرف العطف والفاء أو الضد من ذلك)[1]، وأمّا الهمز فيفيد التحقيق والتنبيه فهو يخرج من أقصى الحلق.

● أكثر الحروف كان بعد الحرف الأول كان حرف اللام وهو حرف ذلقي ليس بالشديد ولا بالرخو يخرج بخفة وسرعة وليونة، وهو من حروف الاستفال مما ييسر نطق الحرف الذي يفيد التأكيد.

● أكثر الحروف وقوعاً بعد الواو الهمزة والألف فالهمزة كما أشرنا تفيد التحقيق والتنبيه، والألف حرف ضعيف بمد ليتوصل به لنطق الحروف القوية.

● كثرة استخدام حرفي النون والميم وهما حرفي الترنم والتنغيم ليزيدا الصوت بهجة وجمالاً وتطريباً، كما أنهما أكثر الحروف كذلك انتهاءً للآيات وذلك للنظم الموسيقي للحروف لما لها من أثر كبير على النفس.

(١) ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ص١٧٩.

● تساوي ورود الهمزة الذي هو أقصى الحلق خروجاً وحرف الفاء الذي هو آخر الحروف خروجاً.

ثانياً: دلالَةُ بنية صفات الحروف على مستوى الكلمة

تكلم الله تعالى بطائفة من الألفاظ تم اختيار أصواتها بما يتناسب مع أصدائها، واستوحى دلالتها من جنس صياغتها، فكانت دالة على ذاتها بذاتها.

إن كل لفظ في القرآن الكريم اختير مكانه وموضعه من الآية فإن غيره لا يسد مسدّه بداهة، فقد اختار الله تعالى اللفظ المناسب في الموقع المناسب من عدة وجوه، وبمختلف الدلالات، إلا أن استنباط تأثيرها صوتياً يوحي باستقلالية الكلمة المختارة لدلالة أعمق، وإشارة أدق، بحيث يتعذر على أي كان استبدال ذلك بغيره وذلك معلم من معالم الإعجاز في القرآن، فانظر مثلاً لأصوات الصفير في وضوحها، وأصدائها في أزيزها، جعل لها وقعاً متميزاً ما بين الأصوات وكان ذلك ـ فيما يبدو لي ـ نتيجة التصاقها في مخرج الصوت، واصطكاكها في جهاز السمع، ووقعها الحاصل ما بين هذا الالتصاق وذلك الاصطكاك، هذه الأصوات ذات الجرس الصارخ هي: الزاي، السين، الصاد، يلحظ لدى استعراضها أنها تؤدي مهمة الإعلان الصريح عن المراد في تأكيد الحقيقة، وهي بذلك تعبر عن الشدة حيناً، وعن العناية بالأمر حيناً آخر، مما يشكل نغماً صارماً في الصوت، وأزيزاً مشدداً لدى السمع، يخلصان إلى دلالة اللفظ على المعنى، ومن أمثلة ذلك:

١ ـ كلمة (مصيطر) من قوله تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية: ٢٢].

يقول ابن عاشور: وَالْمُصَيْطِرُ: الْمُجْبِرُ الْمُكْرِهُ، يُقَالُ: صَيْطَرَ بِصَادٍ فِي أَوَّلِهِ، وَيُقَالُ: سَيْطَرَ بِسِينٍ فِي أَوَّلِهِ وَالْأَشْهَرُ بِالصَّادِ، وَقَرَأَ بِهَا الْجُمْهُورُ وَقَرَأَ

هِشَامٌ عَنِ ابْنِ عَامِرٍ بِالسِّينِ، وَقَرَأَهُ حَمْزَةُ بِإِشْمَامِ الصَّادِ صَوْتَ الزَّايِ[1].

ويقول: أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ إِنْكَارٌ لِأَنْ يَكُونَ لَهُمْ تَصَرُّفٌ فِي عَطَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَوْ دُونَ تَصَرُّفِ الْمَالِكِ مِثْلُ تَصَرُّفِ الْوَكِيلِ وَالْخَازِنِ وَهُوَ مَا عَبَّرَ عَنْهُ بِالْمُصَيْطِرُونَ.

وَالْمُصَيْطِرُ: يُقَالُ بِالصَّادِ وَالسِّينِ فِي أَوَّلِهِ: اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ صَيْطَرَ بِالصَّادِ وَالسِّينِ، إِذَا حَفِظَ وَتَسَلَّطَ، وَهُوَ فِعْلٌ مُشْتَقٌّ مِنْ سَيْطَرَ إِذَا قَطَعَ، وَمِنْهُ السياطور، وَهُوَ حَدِيدَة يقطع بهَا اللَّحْمُ وَالْعَظْمُ. وَإِبْدَالُ السِّينِ صَاداً لُغَةٌ فِيهِ مِثْلُ الصِّرَاطِ وَالسِّرَاطَ، وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: ﴿ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ بِصَادٍ. وَقَرَأَهُ قُنْبُلٌ عَنِ ابْنِ كَثِيرٍ وَهِشَامٌ عَنِ ابْنِ عَامِرٍ، وَحَفْص فِي رِوَايَة بِالسِّينِ فِي أَوَّلِهِ[2].

فكلمة مصيطر وكلمة المصيطرون تكتب بحرف (س) أي مسيطر، المسيطرون ولكن حيث أن حرف (س) ليس من حروف الاستعلاء، والجو جو تحكم وسيطرة وقوة واستعلاء... والسين لن يؤدي المعنى المراد وهو التحكم والسيطرة والقوة والاستعلاء... لذا جاءت تلاوة القرآن لهذه الكلمة باستخدام حرف (ص) وهو حرف من حروف الاستعلاء، وذلك ليؤكد المعنى وتكون التلاوة موضحة أعظم توضيح للمعنى المراد.

٢ ـ كلمة (قبضناه) من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الفرقان: ٤٦].

يقول الشوكاني: قوله ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾ ثم قبضنا ذلك الظلّ الممدود، ومحوناه عند إيقاع شعاع الشمس موقعه بالتدريج حتى انتهى ذلك الإظلال إلى العدم والاضمحلال[3].

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠٧/٣٠).

(٢) نفس المرجع (٧١/٢٧).

(٣) فتح القدير، الشوكاني (٢٨٢/٥).

وسكون حرف (ض) وعدم قلقلته يدل على تأكيد معنى كلمة (القبض) وعدم إمكانية تحريك هذا القبض أو زحزحته.

٣ ـ كلمة (سلسلة) من قوله تعالى: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢] توالت الحركات والحروف وسميت هكذا لتكرر حلقاتها وتتابعها كأنه تُصور منه تسلسل متردد، فردد لفظه تنبيهاً على تردد معناه ومنه السلسلة، وصفير صوت السين وتكراره وتردده كأنه يسمع صوت السلاسل.

٤ ـ كلمة (صرصر) من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ [الحاقة: ٦]، وقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ۝١٩﴾ [القمر: ١٩]. جاء في تهذيب اللغة معزواً إلى الخليل: (أصرَ الجندب صريراً وصر الباب يصرّ، وكل صوت شبه ذلك فهو صرير)[١]، هذه المادة في هذه الصيغ الثلاث: مرفوعة، مجرورة، منصوبة، وردت في القرآن وأنت تلمس فيها اصطكاك الأسنان، وترديد اللسان، فالصاد في وقعها الصارخ، والراء المضعّفة، والتكرار للمادة في صرصر، قد أضفا صيغة الشدة، وجسّد صورة الرهبة، فلا الدفء بمستنزل، ولا الوقاية متيسرة، وذلك ما يهد كيان الإنسان عند التماسه الملجأ فلا يجده، أو النجاة فلا يصل شاطئها، أو الوقاية من البرد القارس فلا يهتبلها.

وصفير صوت الصاد وتكراره وتردده كأنه يسمع صوت الرياح العاتية، كما أن قوة حرف الصاد واستعلائه ناسب الجو العام لقوة الرياح العاتية.

إن مادة الصر كما عبر عنها الراغب (ت: ٥٠٢هـ) «ترجع إلى الشدة لما في البرودة من التعقد»[٢].

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): «الصر الريح الباردة نحو الصرصر، وفيه أوجه:

(١) تهذيب اللغة (١٠٦/١٢).
(٢) الراغب، المفردات ص ٢٧٩.

أحدها: أن الصر في صفة الريح بمعنى الباردة، فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر، كما تقول: برد بارد على المبالغة.

الثاني: أن يكون الصر مصدراً في الأصل بمعنى البرد فيجيء به على أصله.

الثالث: أن يكون شبه ما كانوا ينفقون بالزرع الذي جسه البرد فذهب حطاماً[1].

٥ ـ كلمة «أوبي» من قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ [سبأ: ١٠] جرس موسيقي حالم، وصدى صوتي عميق، وإطلاق للأصوات من أقصى الحلق وضمها للشفة بنطق حرف الواو ثم إعادة إطلاقها، ولو استبدل هذا اللفظ في غير القرآن لعاد النظر مهلهلاً، والدلالة الصوتية منعدمة.

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): «فإن قلت: أي فرق بين هذا النظم وبين أن يقال: وآتينا داود منا فضلاً تأويب الجبال معه والطير؟ قلت: كم بينهما؟ ألا ترى إلى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى من الدلالة على عزة الربوبية، وكبرياء الإلوهية، حيث جعلت الجبال منزّلة منزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا، وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا، أشعاراً بأنه ما من حيوان وجماد، وناطق وصامت إلا وهو منقاد إلى مشيئته، غير ممتنع عن إرادته»[2].

٦ ـ كلمة «كل» من قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل: ٧٦]. فهي توحي عادة بمعنى العالة في أبرز مظاهرها، وقد استعملها القرآن

(١) الزمخشري، الكشاف (٤٥٧/١).
(٢) الزمخشري، الكشاف (٢٨١/٣).

لإضاءة المعنى بما فيها من غلظة وشدة وثقل، لهذا الصدى الصوتي الخاص المتولد من احتكاك الكاف وإطباق اللام على اللهاة، وما ينجم عن ذلك من رنة في الذاكرة، وشدة على السمع، فصوت الكاف في العربية، وهو من حروف الإطباق، شديد انفجار مهموس، وصوت اللام في العربية، وهو من حروف الأسنان واللثة، مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة[1].

وقد اجتمع المهموس والمجهور معاً في هذا اللفظ، فإذا علمنا أن المهموس هو الصوت الذي يظل النفس عند النطق به جارياً لا يعوقه شيء، وأن المجهور هو الصوت الذي يمتنع النفس عن الجريان به عند النطق أدركنا سر اجتماع الكاف المهموسة واللام المجهورة في هذا اللفظ، وما في ذلك من عسر في اللفظ دال على المعنى وغلظته.

لقد ظل النفس جارياً مستطيلاً في اللام عند مجاورتها للكاف، وزاد التشديد في استطالتها، لتوحي الكلمة بأبعادها الصوتية: بأن هذا العبد شؤم لا خير معه، وبهيمة لا أمل بإصلاحه، فهو عالة وزيادة، بل هو «كل» بكل التفصيلات الصوتية لهذا اللفظ[2].

٧ ـ كلمة (الوسواس) من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [سورة الناس]، فلما كانت الوسوسة كلاماً يكرره الموسوس ويؤكده عند من يلقيه كرروا لفظها بإزاء تكرير معناها فقال: كلمة (الوسواس) من وا (وسوس وسوسة) فراعوا تكرير اللفظ ليفهم منه تكرير مسماه[3].

ولا شك أن الوسوسة تكون بالخفاء فناسب تكرار السين الذي يتصف

(١) ابن جني، سر صناعة الإعراب (٦٩/١).

(٢) انظر: الصوت اللغوي في القرآن الكريم ص١٤٧.

(٣) تفسير المعوذتين ص ٦٣، وبدائع الفوائد (٢٥١/٢).

بالهمس والهمس هو الخفي من الكلام لذلك كان تكرر لفظ السين عشرة مرات في السورة ليدلل على معنى الخفاء.

٨ ـ كلمة (سموم) من قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾﴾ [الواقعة: ٤١، ٤٢].

والسموم: الريح الشديد الحرارة الذي لا بلل معه وكأنه مأخوذ من السُّمّ، وهو ما يهلك إذ لاقى البدن[١].

قال الرازي: والأولى أن يقال: هي هواء متعفن، يتحرك من جانب إلى جانب فإذا استنشق الإنسان منه يفسد قلبه بسبب العفونة ويقتل الإنسان، وأصله من السم كسم الحية والعقرب وغيرهما، ويحتمل أن يكون هذا السم من السم، وهو خرم الإبرة، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] لأن سم الأفعى ينفذ في المسام فيفسدها، وقيل: إن السموم مختصة بما يهب ليلاً، وعلى هذا فقوله: ﴿سَمُومٍ﴾ إشارة إلى ظلمة ما هم فيه غير أنه بعيد جدًا، لأن السموم قد ترى بالنهار بسبب كثافتها[٢].

والسُّمُّ: القاتل، وسمي بذلك للطفه وتأثيره في مسامّ البدنِ حتى يصل إلى القلب، وهو في الأصل مصدرٌ ثم أُريد به معنى الفاعل لدخوله باطن البدن، وقد سمَّه إذا أدخله فيه، ومنه «السَّمَّة» للخاصة الذين يدخلون بَوَاطِنَ الأمور ومَسَامَّها، ولذلك يقال لهم: الدّخلُل. والسموم الريح الحادة؛ لأنَّها تؤثر تأثير السّم القاتل[٣]، فالهواء شواظ ساخن ينفذ إلى المسام ويشوي الأجسام يأخذ بأنفاسهم، والماء متناه في الحرارة لا يُبرد ولا يُروي وظل الدخان اللافح الخانق، لا بارد المنزل، ولا كريم المنظر.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٤/٣٤٠).

(٢) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الرازي (١٥/١٥٨).

(٣) تفسير اللباب، ابن عادل (٧/٣٤٦).

وتأمل صفير السين المشدد وأنت تسمع صوت الرياح العاتية، وصوت مد الواو الذي يدل على امتداد الرياح وجريانها.

٩ ـ كلمة (زقوم) من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الواقعة: ٥١ ـ ٥٣].

قال ابن الخطيب: «اختلفت أقوال الناس في معنى الزقوم، وحاصل الأقوال يرجع إلى كون ذلك في الطَّعم مرًّا، وفي اللمس حارًّا، وفي الرائحة منتناً، وفي المنظر أسود لا يكاد آكله يَسيغهُ.

والتحقيق اللغوي أن تركيبة كلمة الزَّقوم، تدل على قبحه فحروفها (ز ق م) لم يجتمع إلا في مهمل، أو في مكروه.

يقال منه: مَزَقَ يَمْزقُ، ومنه: زَمَقَ شعره إذا نتفه، ومنه «القَزْمُ» للدَّناءة واللؤم.

والقاف مع كل حرف من الحرفين الباقيين يدل في أكثر الأمر على مكروه، فالقاف مع (الميم) كـ«القمامة والتَّقَمْقُم والقُمْقُمة»، وبالعكس «المقامق» لتغليظ الصوت، و«المَقْمَقَة» هو الشق، وأما القاف مع الزاي فـ «الزق» رمي الطائر بذرقه، والزَّقْزقة: للخفة، وبالعكس ـ القزنوب ـ فينفر الطَّبع من تركيب الكلمة من حروف اجتماعها دليل الكراهة والقُبْح، ثم قرن بالأكل، فدلَّ على أنه طعام ذو غُصَّة[1].

وتأمل قوة حرف القاف الذي ناسب مقام الدفع والغصة، وحرف الواو الذي هو حرف مد يناسب طول المريء، ولا يمكن للإنسان أن يبلع الأكل إلا إذا أغلق فمه فناسب أن تنتهي المعاناة والغصة بإغلاق الفم بحرف الميم الذي يخرج بإطباق الشفتين فينزل الأكل.

١٠ ـ الرجز، في مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ

(١) انظر: تفسير اللباب ابن عادل (٩٤/١٥).

أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [سبأ: ٥]. وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾﴾ [الأعراف: ١٣٤]. وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأعراف: ١٣٥].

أصل الرجز لغة: الاضطراب والزلزلة، والنازلة والإرسال والإنزال من السماء وحينما نقارن لفظ «الرجز» بمثيله معنى ومبنى «رجس» وهي مكونة من الراء والجيم، والسين كالزاي من حروف الصفير شديدة الاحتكاك في مخرج الصوت، ولها ذات الإيقاع على الأذن؛ حينما نقارن صوتياً ودلالياً بين الصوتين نجد المقاطع واحدة عند الانطلاق من أجهزة الصوت، ونجد المعاني متقاربة في الإفادة، فقد قيل للصوت الشديد: رجس ورجز. قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ [الأعراف: ٧١]، كل هذه الاستعمالات متواكبة دلالياً في ترصد العذاب وصبّه وإنزاله، وهذا لا يمانع من أن تضاف للرجس جملة من المعاني الأخرى لإرادة الدنس والقذارة ومرض القلوب، وحالات النفس المتقلبة، نرصد ذلك في كل من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠].

فالصوت في المعاني كلها الصوت نفسه، والصدى ذات الصدى، ومن هنا أورد الراغب (ت: ٥٠٢هـ): أن الرجس يقع على أربعة أوجه: إما من حيث الطبع، وأما من جهة العقل، وإما من جهة الشرع، وإما من كل ذلك. والرجس من جهة الشرع الخمر والميسر، وقيل: إن ذلك رجس من جهة العقل، وجعل الله تعالى الكافرين رجساً من حيث أن الشرك بالعقل أقبح الأشياء[1].

١١ ـ كلمة صرخ في القرآن من مثل قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا

(١) انظر: الصّوت اللغويّ في القرآن الدكتور محمّد حسين علي الصّغير.

رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يس: ٤٣]، الصراخ الصوت الشديد وصرخة الصّيحة الشديدة عند الفزع[1]، وتأمل قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ لتلمس عن كثب، الاستغاثة بلا مغيث مما يوحي بأن الصراخ قد بلغ ذروته، والاضطراب قد تجاوز مداه، والصوت العالي الفظيع يصطدم بعضه ببعض، فلا أذن صاغية، ولا نجدة متوقعة، فقد وصل اليأس أقصاه، والقنوط منتهاه، فالصراخ في شدة إطباقه، وتراصف إيقاعه، من توالي الصاد والطاء، وتقاطر الراء والخاء، والترنم بالواو والنون يمثل لك رنة هذا الاصطراخ المدوي «والاصطراخ الصياح والنداء والاستغاثة: افتعال من الصراخ قلبت التاء طاء لأجل الصاد الساكنة قبلها، وإنما نفعل ذلك لتعديل الحروف بحرف وسط بين حرفين يوافق الصاد في الاستعلاء والإطباق، ويوافق التاء في المخرج»[2].

١٢ ـ كلمة متشاكسون من قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر: ٢٩]، وهي كلمة تعبر لغة عن المخاصمة والعناد والجدل في أخذ ورد لا يستقران، وقد تعطي معناها الكلمة: متخاصمون، ولكن المثل القرآني لم يستعملها حفاظاً على الدلالة الصوتية التي أعطت معنى النزاع المستمر، والجدل القائم، وقد جمعت في هذه الكلمة حروف التفشي والصفير في الشين والسين تعاقباً، تتخللهما الكاف من وسط الحلق، والواو والنون للمد والترنم، والتأثر بالحالة، فأعطت هذه الحروف مجتمعة نغماً موسيقياً خاصاً حمّلها أكثر من معنى الخصومة والجدل والنقاش بما

(١) ابن منظور، لسان العرب (٢/٤).
(٢) الطبرسي، مجمع البيان (٤١٠/٤).

أكسبها أزيزاً في الأذن، يبلغ به السامع أن الخصام ذو خصوصية بلغت درجة الفورة، والعنف والفزع من جهة، كما أحيط السمع بجرس مهموس معين ذي نبرات تؤثر في الحس والوجدان من جهة أخرى.

١٣ ـ كلمة «كبّ» في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل: ٩٠] وهي تعني إسقاط الشيء على وجهه فلا إنقاذ ولا خلاص ولا إخراج، والوجه أشرف مواضع الجسد، وهو يهوي بشدة فكيف بباقي البدن.

والإكباب جعل وجهه مكبوباً على العمل، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الملك: ٢٢]، والكبكبة تدهور الشيء في هوة[١]. قال تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الشعراء: ٩٤، ٩٥]. وهذه الصيغة قد حملت اللفظ في تكرار صوتها، زيادة معنى التدهور لما أفاده الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) بقوله: «إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى»[٢]. وقال العلامة الطيبي (ت: ٧٤٣هـ): كرر الكب دلالة على الشدة»[٣].

١٤ ـ كلمة اثّاقلتم من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة: ٣٨].

ما أجمل هذه اللفظة وما أروع نطقها في محلها انظر إلى حركة التشديد على الحرف اللثوي «الثاء» والمد بعده، ثم مجيء القاف الذي هو أحد حروف القلقلة، ثم التاء المهموسة، والميم التي تنطبق عليها الشفتان، ويخرج صوتها من الأنف، ألا تجد نظام الحروف، وصورة أداء الكلمة ذاتها

(١) الراغب، المفردات ص ٤٢٠.
(٢) الزمخشري، الكشاف (٤١/١).
(٣) الطيبي، التبيان في علم المعاني والبديع والبيان ص ٤٧٤.

أوحت إليك بالمعنى، قبل أن يرد عليك المعنى من جهة المعاجم؟ ألا تلحظ في خيالك ذلك الجسم المثاقل، يرفعه الرافعون في جهد فيسقط في أيديهم في ثقل؟ ألا تحس أن البطء في تلفظ الكلمة ذاتها يوحي بالحركة البطيئة التي تكون من المثاقل؟

الإغراق في مدّ الصوت واستطالته:

هنالك مقاطع صوتية مغرقة في الطول والمد والتشديد وبالرغم من ندرة صيغة هذه المركبات الصوتية في اللغة العربية حتى أنها لتعدّ بالأصابع، فإننا نجد القرآن الكريم يستعل أفخمها لفظاً، وأعظمها وقعاً؛ فتستوحي من دلالتها الصوتية مدى شدّتها، لتستنتج من ذلك أهميتها وأحقيتها بالتلبث والرصد والتفكير.

من تلك الألفاظ: الحاقّة، الطّامة؛ الصّاخة. وقد تأتي مجردة عن التعريف فتهتدي إلى عموميتها، مثل: دابّة. كافة.

هذه الصيغة صوتياً تمتاز بتوجه الفكر نحوها في تساؤل، واصطكاك السمع بصداها المدوي، وأخيراً بتفاعل الوجدان معها مترقباً: الأحداث المفاجئات، النتائج المجهولة.

الحاقة والطامة والصاخة: كلمات تستدعي نسبة عالية من الضغط الصوتي، والأداء الجهوري لسماع رنتها، مما يتوافق نسبياً مع إرادتها في جلجلة الصوت، وشدة الإيقاع، كل ذلك مما يوضع مجموعة العلاقات القائمة بين اللفظ ودلالته في مثل هذه العائلة الصوتية الواحدة، فإذا أضفنا إلى ذلك معناها المحدد في كتاب الله تعالى، وهو يوم القيامة، خرجنا بحصيلة علمية تنتهي بمصاقبة الشدة الصوتية للشدة الدلالية بين الصوت والمعنى الحقيقي.

وصيغة صوتية أخرى وهي تسمية الكائن الواحد، والأمر المرتقب المنظور، بأسماء متعددة ذات صيغة واحدة، بنسق صوتي متجانس، للدلالة

على مضمونه، وبصوتيته على كنه معناه، ومن ذلك تسمية القيامة في القرآن بأسماء متقاربة الصدى.

هذه الصيغة الفريدة تهزك من الأعماق، ويبعثك صوتها من الجذور، لتطمئن يقيناً إلى يوم لا مناص عنه، ولا خلاص منه، فهو واقع يقرعك بقوارعه، وحادث يثيرك برواجفه.

الصدى الصوتي، والوزن المتراص، والسكت على هائه أو تائه القصيرة تعبير عما ورائه من شؤون وعوالم وعظات وعبر ومتغيرات في: الواقعه ـ القارعة ـ الآزفة ـ الراجفة ـ الرادفة ـ الغاشية، وكل معطيك المعنى المناسب للصوت، والدلالة المنتزعة من اللفظ، وتصل مع الجميع إلى حقيقة نازلة واحدة.

ثالثاً: دلالَةُ بنية صفات الحروف على مستوى الآية

إذا تأملت في الكلمات التي تتألف منها الآيات القرآنية رأيتها تمتاز بميزات ثلاث رئيسية، هي:

١ ـ جمال وقعها في السمع.

٢ ـ اتساقها الكامل مع المعنى.

٣ ـ اتساع دلالتها.

فالآية ما تجده من التلاؤم والاتساق الكاملين بين كلماتها، وبين ملاحق حركاتها، وسكناتها، فالآية في القرآن تجدها دائماً مؤلفة من كلمات وحروف، وأصوات يستريح لتألفها السمع والصوت والمنطق، ويتكون من تضامها نسق جميل ينطوي على إيقاع رائع، ما كان ليتم لو نقصت من الآية كلمة أو حرف أو اختلف ترتيب ما بينها بشكل من الأشكال.

إن التتالي والتتابع الصحيح لحروف الكلمة، والكلمات التي بعدها يخلق التوافق في الكلام كله فتنساب الكلمات في الآيات باتساق واتزان

كافيين للتأثير على أسماع وعقول القراء والمستمعين ومن أمثلة ذلك:

١ ـ موقف لين وسهولة:

من ذلك ما نجده في محاورة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه في سورة مريم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم: ٤٢ ـ ٤٥].

قال الزمخشري: «انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورّطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصا فيه أمر العقل وانسلخ عن قضية التمييز، ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة: كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق، وساقه أرشق مساق، مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن»(١).

بهذا اللطف في الخطاب يتوجه إبراهيم عليه السلام إلى أبيه، يحاول أن يهديه إلى الخير الذي هداه الله إليه، وعلمه إياه، وهو يتحبب إليه ويتلطف به توسلاً إليه واستعطافاً بتكرار لفظ: ﴿يَا أَبَتِ﴾ فالجو العام هو جو اللين وانخفاض لذا ناسب أن تكون الحروف حروف لين ورقة واستفال وهي على النحو الآتي:

الياء: ٢٣، النون: ٢٠، اللام: ١٦، الميم: ١١، الهمزة: ١٢، الصاد: ٣، القاف: ١، الغين: ١، الخاء: ١، الطاء: ١، وبالنظر إلى تركيبة الحروف نجد حضوراً واضحاً لحروف اللين وحروف الاستفال الذي يناسب المقام، وندرة في بعض حروف الاستعلاء وغياب لبعضها الآخر. وإنما تكررت الصاد ثلاث مرات لما فيها من الهمس.

(١) الكشاف (٤/٨٧).

٢ ـ موقف تحدي وشدة وحزم:

ومثال ذلك ما أخبرنا به الله ﷻ عن نبي الله هود عليه السلام يوم أن وقف أمام قومه قائلاً لهم: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـٔٗاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾﴾ [هود: ٥٤ ـ ٥٧].

موقف نلمح من خلاله جوّ التحدّي والجهر بهذا التحدّي، فهو يعلن لهم براءته مما يشركون من دون الله، ويعلن لهم ويتحدّاهم أن يكيدوه جميعاً ولا يتأخرون عن مكيدته، يعلن لهم توكّله على الله المالك القاهر لدوابّ الأرض جميعاً وما هم إلا جزء من هذه الدواب التي تسير على وجه هذه الأرض، ويجهر لهم أنه في حالة تولّيهم فإن الله سبحانه وتعالى سيأخذهم ويستخلف قوماً غيرهم وهم لا يملكون ضره في شيء، هذا الجو العام تداخلت فيه حروف الشدّة والجهر والاستعلاء لرسم هذه الصورة المعبّرة وهذا الموقف الحي الذي كأننا نعيشه ونراه ونسمعه من خلال هذا النص.

ألا ترى حضور الباء: ١٦، التاء: ١١، الهمزة: ١٣، الكاف: ٩، الخاء: ٢، الصاد: ٢، الغين: ٢، القاف: ٣، الظاء: ٢، الدال: ٦، الضاد: ١، الجيم: ١، هذه الحروف التي من صفاتها الشدّة والقوّة والاستعلاء ناسب حضورها هذا الموقف القويّ المستعلي من نبي الله هود عليه السلام[1].

٣ ـ موقف قسوة وشدة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةٗۚ

(١) انظر: الإعجاز البياني في الصوت القرآني د. نجيب علي عبدالله السودي.

وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ [البقرة: ٧٤]. قال الطبري: «ثم صلبت قلوبكم ـ بعد إذ رأيتم الحق فتبينتموه وعرفتموه ـ عن الخضوع له والإذعان الواجب حق الله عليكم، فقلوبكم كالحجارة صلابة ويبساً وغلظاً وشدة، أو أشد قسوة»[1]، وقال الزجاج: «القَسْوة ذهاب اللّين والرحمة والخشوع والخضوع»[2].

وبالنظر إلى تركيبة الحروف نجد حضوراً واضحاً لحروف الشدة حيث بلغت أكثر من ثلاثين حرفاً، كما غلب على الآية حركة الفتح لتناسب المقام حيث بلغت أكثر من ستين فتحة.

٤ ـ موقف يجمع بين القوة واللين:

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال صاحب المنار: لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ لِأَنَّ الْفَظَاظَةَ هِيَ الشَّرَاسَةُ وَالْخُشُونَةُ فِي الْمُعَاشَرَةِ، وَهِيَ الْقَسْوَةُ وَالْغِلْظَةُ، وَهُمَا مِنَ الْأَخْلاَقِ الْمُنَفِّرَةِ لِلنَّاسِ لاَ يَصْبِرُونَ عَلَى مُعَاشَرَةِ صَاحِبِهِمَا وَإِنْ كَثُرَتْ فَضَائِلُهُ، وَرُجِيَتْ فَوَاضِلُهُ، بَلْ يَتَفَرَّقُونَ وَيَذْهَبُونَ مِنْ حَوْلِهِ وَيَتْرُكُونَهُ وَشَأْنَهُ لاَ يُبَالُونَ مَا يَفُوتُهُمْ مِنْ مَنَافِعِ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، وَالتَّحَلُّقِ حَوَالَيْهِ[3].

تأمل عظمة كلام الله جل جلاله فعند الحديث عن القوة والغلظة والشدة وهي قول الله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ فكانت

(١) تفسير الطبري (٢/٢٣٤).
(٢) تفسير اللباب، ابن عادل (١/٣٨٤).
(٣) تفسير المنار (٤/١٦٣).

الحروف حروف تفخيم واستعلاء ﴿فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟﴾، وعند الحديث عن الرأفة والعفو والصفح ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ كانت الحروف حروف لين واستفال ولم يوجد أي حرف تفخيم بها لتناسب المقام.

رابعاً: دلالَةُ بنية صفات الحروف على السورة كاملة

مثال ذلك:

١ ـ سورة النازعات:

هذه السورة ومثيلاتها تتحدث عن اليوم الآخر وما يحصل فيه من أمور عظام جسام، وفي ضوء ذلك يوقع السياق إيقاعات منوعة على أوتار القلب تهزه هزاً وتوقظه إيقاظاً، وأمام هذه الحقيقة يمهد الله تعالى للمقطع الأول من السورة بمطلع غامض الكنه يثير بغموضه شيئاً من الحدس والرهبة والتوجس، يسوقه في إيقاع موسيقي راجف لاهث كأنما تنقطع به الأنفاس من الذكر والارتجاف والمفاجأة والانبهار[1]، ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝٤ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾ [النازعات: ١ ـ ٥].

يتبن لنا من خلال هذا المقطع من السورة ما يلي:

● استشعار اللهث وانقطاع النفس من انتهاء مقاطع الآيات بحرف الألف والذي هو مد طبيعي ينتهي ويتلاشى الصوت عنده شيئاً فشيئاً بمدة لا تزيد عن ثانيتين أو حركتين.

● أنه مطلع سريع النبض سريع الحركة شديد الارتجاف قوي النبرات في انسجام واتزان رائق (النَّازِعَاتِ، النَّاشِطَاتِ، السَّابِحَاتِ، السَّابِقَاتِ،

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن (٦/٣٨١١).

الْمُدَبِّرَاتِ) ألفات متزنة مرققة، مفخمة، مرققة، مفخمة، مفخمة (وفي قراءة مرققة)، وأما كلمات (غَرْقاً، نَشْطاً، سَبْحاً، سَبْقاً، أَمْراً) فقد توسطت تلك الكلمات كلمة «سَبْحاً» ذات الألف المرققة بين ألفات مفخمة، فهي كلمات نسجت حروفها من نور ذات نسق واتزان باهر.

● خلو هذا المطلع من المدود الفرعية تمشياً مع الحركة الرشيقة (النَّازِعَاتِ، النَّاشِطَاتِ، السَّابِحَاتِ، السَّابِقَاتِ، الْمُدَبِّرَاتِ).

وتأتي حركة مشهد يوم القيامة نفس الحركة ونبراته أشد وأوقع على القلب ونبضاته كأنها مطرقة تدق القلب ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠﴾ إلى قوله: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ [النازعات: ٦ ـ ١٤].

من خلال هذا المقطع تبين لنا ما يلي:

● كلمات هذا المقطع (واجفة، رادفة، واجفة، خاشعة، الحافرة، نخرة، واحدة، الساهرة) بنبضات متوازنة تنتهي بحرف الهاء الذي يخرج من أقصى الحلق قريب للصدر يدل على الخوف والارتعاش والرهبة كأن النَّفس تتنهد مع كل مشهد من هول المطلع.

● اصطحبت كلمات هذا المقطع راءات مفخمة تصطحب دلالة التكرار وديمومة الحدث[1].

● خلا هذا المقطع من المدود الفرعية تدعيماً لرشاقة الحدث وسرعة النبرات.

ومن الجو الراجف اللاهث يجيء مشهد نهاية أحد العتاة الذين طغوا وتجبروا وتسلطوا وكذبوا بتلك الآيات العظام الجسام، وهنا يهدأ الإيقاع وتخفض النبرات ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ۝٢٦﴾ [النازعات: ١٥ ـ ٢٦].

(١) انظر: محمد المبارك، فقه اللغة ص١٥١.

في هذا المقطع:

تظهر الحركة الوانية البطيئة الرخية لتنسجم مع الجو القصصي فتظهر المدود والغنات ويغلب كثرة الأفعال على الأسماء في جو حسي موسيقي رائع.

ثم يأتي مقطع جديد ليصف القدرة الإلهية الخالقة القادرة المبدعة المنشئة لآيات الكون فتعرض تلك الآيات بتعبيرات آسرة للعقول آخذة للوجدان تتسق بنبرات وإيقاع الجو العام للسورة ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾﴾ إلى قوله: ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [النازعات: ٢٧ ـ ٣٣].

في هذا المقطع تظهر المدود تمشياً مع جو المقطع حيث تعطي النفس فرصة للتأمل والتدبر، وقد ختم مقاطع الآيات بحرفي الهاء والألف الأمر الذي يبقى الإنسان مشدوهاً وهو فاتح فاه لمدة يسيرة تمشياً مع التدبر والتأمل في ملكوت وآيات الله تعالى.

وأخيراً؛ يعرض المولى سبحانه وتعالى مشاهد الطامة الكبرى في سياق جميل باهر يناسب نبرات آيات السورة كلها وفيها يظهر المد اللازم مصاحباً للميم المشددة إمعاناً للترهيب والتخويف من هول هذا الاسم وهول مطلعه ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ . . .﴾ [النازعات: ٣٤ ـ ٤٦]، اتسقت السورة جميعها بنبرات واحدة، وتلاحم وإيقاع واحد لمقاطعها، وقد مثلت حركات حروفها وكلماتها تجانساً أساسياً في خلق الترنم بين الكلمات والآيات فمثلت الفتحة في السورة (٣٣٨ مرة، ٦. ٧١٪)، ومثلت الكسرة (٧٩ مرة، ٧. ١٦٪)، ومثلت الضمة (٥٥ مرة، أو ٧٪)، وعلى الرغم من قلة آيات هذه السورة وقلة كلماتها والتي لم تتجاوز المائة وثمانين كلمة فقد كثر فيها وسائل الترنم من غنة وإخفاء وإظهار ومدود وغيرها.

٢ ـ سورة التكوير:

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التكوير: ١ ـ ١٤].

في المقطع الأول للسورة (١ ـ ١٤) يشهد الكون انقلاباً هائلاً، انفراطاً لعقد نظامه، تناثراً لأجزائه وعناصره، فيه تطفأ الشمس فيعم الظلام، وتهوى النجوم، وتسجّر البحار، وتزول الجبال ويغير معالم الكون كله وذلك بصورة متتابعة متتالية، هذه الصورة الرائجة والحركة السريعة ناسب أن يكرر معها كلمة (إذا) مقرونة بواو العطف الذي يفيد الإطناب والتتابع يقول سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ: (والإيقاع العام للسورة أشبه بحركة جائحة تنطلق وتذهب بكل مألوف، وتبدل كل معهود، وتهز النفس البشرية هزاً عنيفاً طويلاً يخلعها من كل ما اعتادت أن تسكن إليه، وتتثبت به، فإذا عاصفة الهول المدمر الجارف ريشة لا وزن لها ولا قرار، ولا ملاذ، ولا ملجأ إلا في حمى الواحد القهار الذي له وحده البقاء والدوام، وعنده وحده القرار والاطمئنان)[1].

المتأمل الناظر في حروف هذا المقطع يجد أنها خدمت المعنى والجو العام للآيات وهي كالتالي:

● إنهاء الآيات كلها كان بحرف التاء، والذي من صفاته الهمس، والشدة، الهمس الذي يجري معه النَّفَس في المخرج بيسر وسهولة، والشدةُ التي يمنع فيها جريان الصوت، وكأن الإنسان أمام هول ما يرى يجري نَفَسُه وهو فاغر فاه لا يتكلم، وهو ما أشار إليه المولى سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه: ١٠٨].

● خلت الآيات من أحكام النون الساكنة والتنوين التي تفيد التطريب تناسباً مع رشاقة الحركة، ولذلك كانت الآيات عبارة عن مطرقة تطرق القلب بضربات متتالية متتابعة حتى توقظه من غفلته.

● اتسمت حروف هذا المقطع بكثرة السكون فيها حيث بلغ ثمان وثلاثين سكوناً دليلاً على شدة تأثر الإنسان وخوفه ورعبه وامتداد زمن شخوصه من شدة الهول.

(١) سيد قطب في ظلال القرآن (٦/٣٨٤٢).

وأما المقطع الثاني للسورة فتبدأ الحركة الوانية والموجة الرخية ويهدأ الإيقاع والنبرات ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ١٥ ـ ٢٩].

ويظهر لنا من هذا المقطع:

- انتهاء الجزء الأول من المقطع بحرف السين حيث يجري النفس والصوت معاً ويتنفس الصعداء، فحرف السين مهموس رخو، والعجيب أن الله تعالى اختار هذا الحرف ليكون نهاية بعض الآيات بعد حرف التاء في المقطع السابق ذلك لأن حرف السين حرف صفير حتى يوقظ الإنسان من صمته وشخوصيته التي امتدت طويلاً أمام آيات الله تعالى المتغيرة.
- ظهر في هذا المقطع المدود والغنات تمشياً مع إيقاع الآيات.
- بدأ الله تعالى هذا المقطع بالقسم تأكيداً لوقوع ما مضى من آيات.

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث أحمد الله سبحانه وتعالى، لا أحصي ثناءً عليه أن أتم عليّ نعمته بإتمام هذا الجهد المبارك، ولا الفضل لي في كل ذلك وإنما من الله كل الفضل بدءاً ومنتهى.

وقد كشف هذا البحث عن العديد من النتائج والتي أهمها:

١) اشتمال فواتح السور القرآنية المبدوءة بالحروف الهجائية على نصف تقسيمات أصناف الحروف.

٢) بداية الآيات كانت لحروف الترقيق إلا ما نذر جدًّا من حرف الاستعلاء وبالتالي يبدأ الصوت برقة ولطف وهو الصوت الذي يخاطب العقل والقلب معاً.

٣) أكثر الحروف كانت الواو ثم الفاء ثم الهمزة، فالواو والفاء كما هو معلوم تفيد العطف والترتيب والتعقيب والموالاة، وهو ما يدل على الارتباط واللحمة بين المعاني وتوحيد الوزن والنبرة بين حروف السورة الواحدة وكلماتها وآياتها.

٤) تساوي ورود الهمزة الذي هو أقصى الحلق خروجاً وحرف الفاء الذي هو آخر الحروف خروجاً.

٥) اختار الله تعالى اللفظ المناسب في الموقع المناسب في الآية من عدة وجوه، وبمختلف الدلالات، تخلص إلى دلالة اللفظ على المعنى وتأثيرها صوتياً يوحي باستقلالية الكلمة المختارة لدلالة أعمق، وإشارة أدق، بحيث يتعذر على أي كان استبدال ذلك بغيره وذلك معلم من معالم الإعجاز في القرآن.

٦) وجود مقاطع صوتية مغرقة في الطول والمد والتشديد وبالرغم من ندرة صيغتها فإننا نجد القرآن الكريم يستعل أفخمها لفظاً، وأعظمها وقعاً؛ فتستوحي من دلالتها الصوتية مدى شدّتها، من تلك الألفاظ: الحاقّة، الطّامة، الصّاخة.

٧) وجود صيغ صوتية تسمى بأسماء متعددة ذات صيغة واحدة، بنسق صوتي متجانس، للدلالة على مضمونه، وبصوتيته على كنه معناه، ومن ذلك تسمية القيامة في القرآن بأسماء متقاربة الصدى منها: الواقعة ـ القارعة ـ الآزفة ـ الراجفة ـ الرادفة ـ الغاشية، وكل معطيك المعنى المناسب للصوت، والدلالة المنتزعة من اللفظ، وتصل مع الجميع إلى حقيقة نازلة واحدة.

٨) الآية في القرآن تجدها دائماً مؤلفة من كلمات وحروف، وأصوات يستريح لتألفها السمع والصوت والمنطق، ويتكون من تضامها نسق جميل ينطوي على إيقاع رائع، ما كان ليتم لو نقصت من الآية كلمة أو حرف أو اختلف ترتيب ما بينها بشكل من الأشكال.

٩) الكلمة في القرآن مؤلفة من حروف تتوالى مدلولاتها لتشكل جواً نفسياً دالاً ومعبراً على المعنى العام الذي يحيط بموضوع السورة كلها.

وختاماً؛ أدعو الله ربي أن يكتب لي بكل حرف حسنة وبكل كلمة مغفرة وبكل آية عتق من النار، وأسأله تعالى أن يتجاوز عن الزلل وأن يجبر الخلل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.